مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 10 العدد 2ب، 2013، ص ص 1623- 1647

نشر الطريقة الخلوتية كما انعكست في زيارات مصطفى البكري الصديقي الدمشقي الخلوتي إلى بيت المقدس وسوريا في القرن الثامن عشر

غالب عنابسة*

ملخص

تتناول هذه الدراسة انتشار الحركة الخلوتية كما انعكست في زيارات مصطفى البكري الصديقي في القرن الثامن عشر، في كل من فلسطين وسوريا. لقد اعتمدنا في الدراسة على مخطوطات من مختلف المكتبات والجامعات الغربية والعربية، التي شقّت أمامنا سبلا لمعرفة كيفية انتشار الطريقة الخلوتية، رغم الصعوبات التي واجهتها من مختلف بعض التيارات الفكرية في الدولة العثمانية، كحركة قاضي زادة وغيرها، ممن يتبع التيار الحنبلي، ممثلا بابن تيمية الذي عارض ممارسات هذا النهج، لبعده عن السنة والشريعة. لكن يبدو أن السلطة العثمانية في استانبول شجعت مثل هذه الحركات، ربما لإضفاء البعد الديني على الحكم.

لا شك أن انتشار الطريقة التي لا زالت في حقلها الديني والفكري حتى يومنا هذا، لها الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع العربي والإسلامي، فضلا عن البعد الديني.

سنتناول في هذه الدراسة مسألة نشر الطريقة الخلوتية في كل من بيت المقدس، وسوريا في القرن الثامن عشر، كما انعكس هذا الجانب في زيارات البكري الصديقي الدمشقي، في بلاد الشام بالمفهوم العام (بيت المقدس وسوريا).

لقد اعتمدنا بصورة ملحوظة في دراستنا هذه على مخطوطات نادرة للمؤلف نفسه، كنا قد حصلنا عليها من مختلف المكتبات، نخص بالذكر مكتبة الدولة في المدينة المنورة في السعودية، وكذلك جامعة برينستون، وجامعة استانبول (Princeton, Istanbul). إن الهدف الأساسي من هذه الدراسة الوقوف على الجهد الذي قام به البكري الصديقي لنشر الطريقة بدءا في سوريا، ووصولا إلى بيت المقدس، والأماكن المجاورة لها، علما بأن الطريقة نشرت أيضا في كل من مصر، والحجاز، وأماكن أخرى في القرن المذكور أعلاه.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم اللغة العربية، كلية بيت بيرل الأكاديمية.

1. ترجمة حياة الشيخ مصطفى البكري الصديقي:

هو مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر الصديقي، البكري، الدمشقي، الحنفي، الخلوتي، القادري، الشهير بالقطب البكري (قطب الدين). صوفي شيخ الطريقة الخلوتية، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق كما يلي ذكره في مخطوطة "الخمرة المحسية في الرحلة القدسية":

"أبو المعارف، قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محيي الدين، بن عبد القادر بن بدر الدين محمد، نزيل دمشق بن ناصر الدين، محمد شهاب الدين بن ناصر الدين بن بهاء الدين، عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين أبي الروح، عيسى بن داود بن محمد بن نوح ابن الشيخ طلحة، سلطان مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بن السيد الإمام أبي محمد عبد الله ابن السيد الإمام المجتهد الصحابي أبي الفضل عبد الرحمن بن الإمام الأعظم، والخليفة الأكرم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه بن عثمان أبي قحافة بن عمرو، وابن عامر بن سعد بن كعب بن قيم بن مرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

تشير الباحثة (Linda Schilcher) أن آل البكري أسرة لها فروعها في الحجاز، ومصر واستانبول، ودمشق[2]. وقد توطدت مكانتهم في القرن السابع عشر بفضل أحمد بن كمال الدين البكري (ت. 1107هـ/ 1695م)، الذي بلغ مرتبة عالية في القضاء، وأصبح قاضيا في دمشق. وهذه إشارة إلى أن العثمانيين أصبحوا يدخلون بعض العلماء العرب إلى المناصب الدينية المرموقة في القرن السابع عشر. وتذكر كتب التراجم أن خليل بن أسعد البكري (ت. 1173هـ/ 1759م) قد تولى الإفتاء في دمشق، وقاد ثورة ضد الوالي عثمان باشا أبو طوق (سنة 1135هـ/ 1723م)، وانتهت بتولية إسماعيل باشا العظم واليا على دمشق (في عام 1138هـ/ 1725م)[3]، وكان قبل ذلك بقليل قد راح يبرز مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي بوصفه واحدا من أكبر المشايخ والمفكرين في النصف الأول من القرن الثامن عشر، نخص بالذكر في مجال نشر الطريقة الخلوتية.

لقد عزا البرت حوراني (A. H.Hourani) في عرضه للاتجاهات الصوفية في القرن الثامن عشر، بروز الطريقة السمانية في الحجاز التي مهدت لبروز كل من الحركة التيجانية في شمال إفريقيا، والحركة المهدية في السودان، إلى تأثير الشيخ مصطفى البكري الصديقي[4].

وحول نشأته، فمن المعروف أن الشيخ البكري قد ولد في دمشق في شهر ذي القعدة عام (1099هـ/ 1688م)، وتوفي بالقاهرة في ثاني عشر ربيع الثاني عام (1162هـ/ 1749م)[5]، حيث دفن بتربة المجاورين، وهي إحدى خمس ترب كبيرة المعروفة بالقرافة الكبرى[6].

ويذكر يوسف النبهاني (ت.1351هـ/ 1932م)في كتابه "جامع كرامات الأولياء" بخصوص وفاته نقلا عن تلميذه القطب (الأستاذ) الحفني الذي سيرد ذكره:

"ثم حج مولانا السيد الصديقي عام إحدى وستين وعاد من الحجاز إلى القاهرة فمرض عقب دخوله مدة شهر، فحان مولد السيد البدوي[7]، فأراد الشيخ أستاذنا الحفني أن يتخلف عن الذهاب إليه لأجل السيد، فأشار إليه بعدم التخلف، فتوجه أستاذنا إلى المولد الشريف، فتوفي السيد الصديقي، وهو في المولد ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني عام (1162هـ/1749م)، ودفن بالقرافة الكبرى خارج مدينة القاهرة[8]، وقبره ثم مشهور ثم بزيارته تضاعف الأجور، وقد عمل له أستاذي في شهر شعبان من هذا العام مولدا عظيما شدت إليه الرحال"[9].

لقد نشأ الشيخ مصطفى البكري يتيما، حيث توفي والده كمال الدين الذي تقدم ذكره أعلاه، وكان عمره ستة أشهر، فكفله ورعاه ابن عمه أحمد بن كمال الدين بن عبد القادر الصديقي، وبقي عنده في داره، قرب البيمارستان النوري[10].

2. البكري الصديقي في سوريا:

يشير الباحث (Ralf Elger) أن الشيخ البكري الصديقي طلب العلم منذ البداية في دمشق، ودرس على مشاهير العلماء، نذكر على سبيل المثال الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي (ت. 1132هـ/ 1719م)، ومراد الأزبكي (ت. 1133هـ/ 1720م)، وأحمد بن عبد الكريم الغزي (ت.1144هـ/ 1731م)[11]، وفي مصر ما ورد لدى المرادي (ت.1206هـ/ 1791م) في "سلك الدرر"...وأجاز له الشيخ محمد بن محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت (ت. 1140هـ/ 1727م). لكن لا نعلم بالضبط فيما إذا تلقى العلم عنه في دمشق أم في دمياط مصر، لأننا وجدنا من جهة يذكر المرادي مدينة دمشق، ومن جهة أخرى يذكر مدينة دمياط لدى زيارته مصر ورد لديه:" ... ومن هناك سار إلى دمياط، وأقام هناك في جامع البحر وأخذ بها عن علامتها الشمس محمد البديري الشهير بابن الميت، وقرا عليه الكتب الستة (أي مصنفات الحديث المشهورة رواية وصحة، وهي الصحيحان للشيخين البخاري ومسلم، والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه)، والمسلسل بالأولية"[12].

ولازم الشيخ مصطفى البكري الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت.1144هـ/ 1731م)[13]، وهو من مشاهير العلماء ورجال الصوفية في القرن الثامن عشر، وقرأ عليه مدة في دمشق، حيث أخذ عنه تعاليم الصوفية لديه وفق تعاليم ابن عربي (ت.638هـ/ 1240م)، التي وردت في أهم مؤلفاته مثل (الفتوحات المكية). ويذكر المرادي أنه كان يمدحه كثيرا، وقد اخذ عنه تعاليم بعض الحركات الصوفية، نخص بالذكر الطريقة القادرية، والنقشبندية[14]. يذكر النبهاني في هذا السياق ما ورد من قول للبكري الصديقي في كتابه "السيوف الحداد في أعناق أهل

الزندقة والإلحاد":"وذكر أنه أجازه في المنام واليقظة بكتبه ومؤلفاته التي زادت على مائتين، وبالطريقة القادرية والنقشبندية"[15]. وقد ورد لدى النبهاني: "أنه أخذ طريق النقشبندية من طريقين: طريق ظاهر من محمد باسعيد الهندي، وطريق باطن تلقاه من روحانية أبي يزيد البسطامي (ت. 226هـ/ 875م)، أو عن غيره من كبار طريق النقشبندية. قال سيدي مصطفى البكري : "فتعلق خاطري في هذا الطريق الثاني. فرأيت بعد مدة أني في مكان بين جماعة أعرف غالبهم، وكلهم من الصالحين، لكني لم أعرف الجميع، وإنما عرفت البعض، ثم تفرقوا فالتفت عن يساري، وإذا برجل نائم قيل لي أو وقع في سري أنه أبو يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه، فقلت: إذاً لا أذهب حتى آخذ عنه طريق النقشبندية"[16]. وكما نعلم فإنّ الطريقة النقشبندية تعدّ أكثر الطرق الصوفية الأقرب إلى تعاليم أهل السنة.

لكن نقطة التحول في حياته أنه أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي الخلوتي (ت. 1121هـ/1709م)[17] في دمشق، الذي علّمه الأسماء، ثم أذن له فيما بعد بالمبايعة ليخلفه، فبايعه الشيخ مصطفى البكري على الطريقة الخلوتية، وكانت وفاته كما يشير المرادي بدمشق، ودفن بتربة مرج الدحداح[18]، ثم بايعه طلاب الشيخ خليفة له للطريقة المذكورة.

نذكر في هذا السياق أن الشيخ البكري سكن إيوان المدرسة الباذرائية[19] سنة (1119هـ/ 1707م)، ابتغاء الانزواء للعمل في تأليف الأوراد، وهي بمثابة أدعية، وابتهالات دينية إلهية لدى أهل الصوفية بشكل عام، وبشكل خاص لدى أتباع الطريقة الخلوتية، نضيف أيضا ما يرتبه المريد الصوفي على نفسه، أو الشيخ على تلميذه من الأذكار (حلقات الذكر)، والعبادات.

حول المبايعة المذكورة أعلاه ورد لدى المرادي أنه أثناء مكوثة في المدرسة المذكورة" ونزل في حجرة بها يقصد الانفراد والاشتغال بالأذكار والأوراد، وأذن له شيخه المرقوم بالمبايعة والتخليف سنة عشرين، أي عام (1120هـ/ 1708م) اذنا عاما فبايع في حياته، وكانت تلك أزهر أوقاته، وسمعه مرة يقول: الشيخ الجنيد لم يظفر طول عمره إلا بصاحب ونصف فقال له: وكم ظفرتم أنتم بمن يوصف بالتمام؟ فقال له: أنت إن شاء الله، ثم إن شيخه المرقوم دعاه داعي الحق فلبى، ثم إن تلامذته توجهوا إلى صاحب الترجمة، واجتمعوا عليه وجددوا أخذ البيعة عنه، فشاع خبره وذاع أمره وكثر جمع جماعته إلى سنة اثنتين وعشرين"[20].

ويبدو أن الجبرتي أخطأ عندما قال: إنه نشأ في بيت المقدس[21]. وليس لدينا دليل يثبت ما ورد لدى الجبرتي رغم أنه يعدّ مؤرخا، ومن المفروض جدلا أن يلتزم الدقّة.

لقد ذكرنا سابقا أن الشيخ البكري الصديقي قد أخذ الطريقة الخلوتية إجازة من الشيخ عبد اللطيف الحلبي المذكور أعلاه، لكن من المهم أن نعلم أيضا كيف انتقلت هذه الطريقة إلى هذا الشيخ، وما الظروف التي ساعدت على ذلك؟.

حول تاريخ الخلوتية في الدولة العثمانية، هناك دراسات عديدة حول هذا الموضوع، نذكر منها: دراسة الباحثين (Kissling, Martin)[22]، ويبدو أن السلطنة العثمانية في فترات زمنية معينة شجعت وجود مثل هذه الطرق ليس لأسباب دينية أو روحانية فحسب، وإنما لأسباب سياسية، نعني تأييد رجال الصوفية للدولة، وكسبهم لمواجهة أعدائهم، نخص بالذكر سنوات حكم بايزيد الثاني (886-918هـ/ 1481-1512م)، وكذلك فترة سليمان القانوني (926-974هـ/ 1520- 1566م)، ومراد الثالث (ت.1003هـ/ 1594م).[23] وهذا الأمر يتشابه نسبيا مع فترة المماليك في مصر، الذين قربوا رجال الصوفية للهدف نفسه أيضا. لكن بالمقابل فإن في فترة سليم الأول، أي أوائل القرن السادس عشر (918هـ-926هـ/ 1512م- 1520م)، كانت فترة جمود لنشر الخلوتية. ومع مطلع القرن السابع عشر، وخاصة في أيام حكم السلطان احمد الأول (1012-1026هـ/ 1603- 1617م)، وبعض سلاطين آل عثمان، نجد الخلاف بين تيار محافظ من العلماء المسلمين، ورجال الخلوتية، وكذلك لا نغفل العلماء السنيين الذين عارضوا ممارساتهم وطقوسهم الدينية من وجهة النظر السنية.

الباحث (F. D. Jong) يشير في مادة "خلوتية" في دائرة المعارف الإسلامية، أنّ الخلوتية هي فرع من الابهاريه الزاهدية، اعتمادا على رأي كمال الدين محمد الحريري (ت.1299هـ/ 1882م)، ويشير أن أول من استخدم مصطلح "خلوتية" هو عمر الخلوتي، في حين أنّ الشيخ مصطفى البكري الصديقي يذكر أن الشيخ محمد بن نور الدين الخلوتي الباليسي (ت.666هـ/ 1267م) هو أول من أطلق اسم الخلوتية على هذه الطريقة.

أما محمد زاهد الكوثري (ت.1371هـ/1952م) فيذكر أن عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي، المعروف بابي النجيب السهروردي (ت.564هـ/ 1168م)، الذي دفن في رباط بناه في خربة على نهر دجلة، هو الذي تفرعت عنه العديد من الطرق الصوفية مثل: المولوية، والكبروية، والخلوتية، والجلوتية وغيرها، ثم انتقلت إلى قطب الدين الابهري (ت.590هـ/ 1194م)، وعنه أخذ الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني (ت.653هـ/ 1255م)، ومنه تلقى الشيخ محمد بن نور الخلوتي (ت.666هـ/ 1267)، ومن سلالة الشيخ محمد بن نور، تلقى الطريقة الشيخ عمر الخلوتي (ت.730هـ/ 1329 م)، ومن سلالته انتقلت إلى يحيى الشرواني (ت.869هـ/ 1464م)، والشيخ محمد بهاء الدين الارزنجاني (ت.879هـ/ 1474م)، والشيخ جمال الخلوتي، المعروف بشلبي خليفة (ت.900هـ/ 1494م).[24]

نذكر بالنسبة لنشر الطريقة الخلوتية في سوريا، أنّ الشيخ إدريس أحد تلاميذ شلبي خليفة المذكور أعلاه، هو أول من نشر الخلوتية في سوريا في القرن الخامس عشر الميلادي، إذ أرسل من قبل رجال الخلوتية في إستانبول لنشرها في سوريا، ثم بعد قرنين، جاء علي قرة باش أحد علماء أدرنة (ت.1097هـ/ 1685م)[25]، الذي وصل إلى مدينة حلب، الذي ساعد على نشر الخلوتية في سوريا، وقد تلقى عبد اللطيف الحلبي هذه الطريقة في مدينة حلب مسقط رأسه، وانتقل بعدئذ إلى مدينة دمشق لنشرها، فأجاز الطريقة كما قدمنا للشيخ البكري الصديقي. ويذكر المرادي في ترجمته لعبد اللطيف الحلبي أنه أخذ الطريقة عن شيخه، مصطفى الادرني (ت.1114هـ/ 1702م) (الادرنوي وفق المرادي)، الذي أخذ عن شيخه قرة باش المذكور أعلاه[26]. إذن يبدو أن بذور الطريقة الخلوتية كانت عند الأتراك، وكذلك في مناطق القفقاز (القوقاس)، ومن ثم انتقلت إلى البلاد العربية، نعني أنها انتشرت بواسطة الأتراك.

مما يؤكد ذلك أن مواطن أسماء رجال الخلوتية تشير إلى أنّ الخلوتية انتشرت من أماسيا وهي من بلاد الأناضول الوسطى، ومنها إلى إستانبول في القرن الخامس عشر الميلادي، نذكر على سبيل المثال: يحيى الشرواني (ت.1464م سيذكر لاحقا)، الذي ولد في الجنوب الشرقي من القوقاس في ولاية شروان، ثم انتقل إلى باكو في ساحل بحر الخزر في منتهى جبل القوقاس، ودفن هناك، وقد نشر الخلفاء في أمكنة مختلفة، وهو أول من نهج تعيين الخلفاء، ومحمد جمال الخلوتي، المعروف بجلبي سلطان الاقسرائي (المعروف بشلبي خليفة أو جلبي، وتعني بلغة الأتراك الرباني، وسلطان يستعمل في كبار الأولياء عندهم). وقد ولد في اماسيا ويعدّ من خلفاء يحيى الشرواني، والشيخ علي قراباش الولي، المعروف المذكور أعلاه، الذي ولد في الأناضول في بلد يدعى قراباش (أي الأسود الرأس)، ومصطفى الادرنوي الذي أخذ الطريق عن علي قراباش وانتقل إلى استانبول، ومن ثم عبد اللطيف الحلبي الخلوتي الذي ولد في حلب، ودفن في دمشق، وأخذ من مصطفى الادرنوي في مصر القاهرة.[27] وهو المولود في الأناضول ثم انتقل إلى إستانبول، وتوفي هناك.

بعد البيعة التي تمت مع شيخه عبد اللطيف الحلبي، لم يقم في السنوات الأولى في مهمة نشر الطريقة الخلوتية أثناء وجوده في سوريا، إذ كان متكتما في هذا الباب، وإنما كان موضع اهتمامه زيارة الأماكن المقدسة في سوريا، ففي عام (1122هـ/ 1710م) قام بزيارة قرية برزة[28] التي تعدّ ضاحية من مدينة دمشق اليوم، وسوف نتناول المقام الذي ينسب إلى إبراهيم عليه السلام لاحقا، حيث سجل تفاصيل رحلته تحت عنوان **برء الأسقام في زيارة برزة والمقام** [29]، (مقام إبراهيم عليه السلام)، وكان الداعي لزيارة المقام كما ينقل الشيخ البكري عن كتاب فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي (ت.444هـ/ 1052م)، أن هذا المكان يعدّ أحد ثلاثة أمكنة يستجاب فيها الدعاء، وهي مغارة الأربعين، وجامع بني أمية، والمسجد (أي مسجد إبراهيم)،

الذي فوق برزة [30]. وفي طريقه قبل وصوله إلى المقام زار بعض الأماكن المقدسة مثل الجبانة[31]، والشيخ علي صاحب البقرة، ومرج الدحداح والشيخ بكار. ومن الملاحظ أن الشيخ البكري الصديقي قد زار اماكن عديدة ذات قداسة عند العامة، وهذا يتنافى مع ما يؤمن به علماء السنة، ونفسر الهدف من زياراته رغبته في أن يظهر مدى استحباب الزيارة، في ظل معارضتها لدى بعض العلماء المسلمين نخص الحنابلة منهم.

نذكر في هذا المضمار، أن الفترة المملوكية شهدت معارضة شديدة بالنسبة لتقديس المقامات، وزيارة الأماكن المقدسة، تجلّى ذلك بالموقف الصريح الذي أظهره ابن تيميّة (ت.729هـ/ 1328م)، وقسم من تلاميذه (القليل ممن يمثل التيار الحنبلي)، الذين ساروا على نهجه وموقفه منها، في ظلّ انتشار تقديس المقامات، وما يرافق ذلك من عبادات في أماكن معينة من العالم الإسلامي. أما ابن تيمية وقسمًا من تلاميذه الذين نهجوا وتشدّدوا حسب السنة النبوية، فقد طرحوا المسألة بأسلوب جدلي، ومنطقي قائم على البرهان، والحجج في الإسلام، فأظهروا موقفهم المعارض للبدع والتجديدات التي ساعد على وجودها ربما عامة الناس، لأسباب دينية، ونفسية، وسياسية، وعقائديّة.[32]

نشير بأن الشيخ البكري زار مقام حسن الراعي في أول زيارة له في القدس عام (1222هـ/ 1710م)، وبعد عامين أي عام (1125هـ/ 1713م) ايضاً توجه الصديقي لزيارة مقام حسن الراعي وولده عبد العال بالقرب من مدينة أريحا، قصدا للزيارة، وفي طريقه أيضاً زار بعض الأماكن المقدسة، كذلك لدى عودته، وقد سجل رحلته تحت عنوان: **"لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال"** [33].

3. الشيخ مصطفى البكري الصديقي في بيت المقدس:

كما أشرت في مقدمة الدراسة، لا يوجد ثمة تفاصيل شاملة، حول حياة الشيخ البكري الصديقي (عدا الدراسة التي صدرت بالألمانية مؤخرا لرالف ايلجر، وبالعربية لكرم أبو كرم)[34] وما وجدناه في بعض كتب التراجم هو بمثابة إيجاز لبعض الجوانب المركزية في حياته، نخص بالذكر بعض الأماكن التي رحل إليها، نذكر على سبيل المثال القدس، وفلسطين، ومصر، واستانبول، وطرابلس، والعراق، وبلاد الشام، ومدن الحجاز المقدسة، لأنه من المعروف أنه قد حج إلى المدن الحجازية، نعني مكة والمدينة المنورة أربع مرات[35] كما سنشير لاحقا، ,ويبدو أنه كان يمهد لنشر الطريقة الخلوتية في المدن الحجازية المقدسة، بعد نشرها في كل من سوريا، وفلسطين، ومصر، فضلا عن اهتمامه بالجانب الديني، والروحاني، نعني أداء فريضة الحج. ولا بد من الإشارة إلى أن انتعاش الخلوتية في كل من فلسطين ومصر قد امتد إلى الحجاز (الطريقة السمانية). ثم يجب أن نشير أن تأديته فريضة الحج عدة مرات مفاده رغبته في نشر الخلوتية في

الديار الحجازية، إذا أخذنا بعين الاعتبار ممن كان يرافقه لدى زيارته مكة والمدينة، وذلك في سبيل نشر الطريقة.

أما بالنسبة لرحلته الأولى إلى بيت المقدس، فمن المعلوم لدينا أنه زار بيت المقدس لأول مرة عام (1122هـ/ 1710م)، إذ تزوج أيضا هناك كما سنذكر الأمر لاحقا. وكان الهدف من وصوله محاولة نشر الطريقة الخلوتية في بيت المقدس وفلسطين عامة، وقد ألف خلال وجوده في القدس كتابه الذي هو مجموع من الأوراد **"الفتح القدسي والكشف الإنسي"**. وهو ما زال مخطوطا.

من المخطوطات التي توضح رحلة الشيخ البكري الصديقي إلى بيت المقدس، هي مخطوطة "الخمرة المحسية في الرحلة القدسية"[36]، للشيخ نفسه، ورد في مقدمة المخطوطة:" طال ما كانت تتوجه بي الهمة، وتقلقني الأشواق بعزمه اثر عزمه إلى ريان بيت المقدس الشريف، الذي مناره عال غال منيف، لا زال محفوفا بألطاف اللطيف.... فكان ذلك في يوم الخميس المبارك الأنيس في اليوم التاسع عشر من محرم الحرام، الذي هو من شهور عام اثنين وعشرين ومائة وألف، وفيه شرعت بحول طول المعين في رحلة تجمع ما يمنحه المتين، وسميتها **بالخمرة المحسية في الرحلة القدسية...** ولقد كنت يوما عند شيخنا المرحوم الشيخ عبد اللطيف الخلوتي الذي هو بالرحمات معموم قدس الله سره، وجعل في مقعد الصدق مقره، فورد عليّ بيتان بشّراني بالزيارة، ولم تكن لي ببال، وكان ذلك قبل وفاة شيخنا المذكور بنحو سنتين أو أكثر، وأنشدتهما إياه في الحال وهما:

نحن أهل القدس والمقام الأقدس

مجلس القرب يقينا في الأعالي مجلس

فدعا لنا الشيخ رحمه الكبير المتعال بتحقيق هذا المقال، ونيله بالحال"[37]. وهذا يعني أنه قام بالزيارة بتوصية، أو تشجيع من شيخه، الذي يبدو أيضا انه كان له علاقة مع السلطة العثمانية في سوريا.

كما ورد أعلاه فإن الشيخ البكري الصديقي خرج في التاسع عشر من محرم عام 516هـ/ 1122هـ، وعاد في الخامس عشر من شعبان من السنة نفسها، وقد استغرقت الرحلة سبعة أشهر. أما الطريق التي سلكها ليصل إلى مدينة بيت المقدس، فهي لا تختلف عن الطريق التي سلكها شيخه عبد الغني النابلسي في رحلته الأولى إلى بيت المقدس، وهي تحت عنوان: **"الحضرة الانسية في الرحلة القدسية"**[38]، وهي تعدّ المسلك الرئيسي بين دمشق وفلسطين، إذ بدأ من

قرية داريا، خان الشيخ، سعسع[39] القنيطرة، جسر بنات يعقوب، جب يوسف الصديق، المنية، عيون التجار، جنين، نابلس، سنجل، البيرة، بيت المقدس.

إن المكان الأول الذي زاره قبل دخوله القدس مزار الشيخ جراح[40]، ولدى وصوله المدينة أشار الشيخ البكري الصديقي أن من أكرمهم في بيت المقدس لدى وصوله ومجموعته التي رافقته من دمشق، يدعى محمد الطواقي، وذلك قبل وصولهم الى المسجد الأقصى المبارك والصخرة، وقد رافقهم لزيارة الحرم احد التجار المدعو علم الدين العلمي، والشيخ يحيى الدجاني، خادم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام[41].

من المهم ان نشير إلى أنّ عائلتي الدجاني والعلمي كانتا من العائلات الصوفية في القدس، عرفتا منذ نهاية الحكم المملوكي، وقد كان لهما تأثير على طابع القدس كمركز روحاني وديني في القرنين السابع، والثامن عشر، وهناك الكثير من رجال الصوفية من زار العائلتين نذكر منهم: عبد الغني النابلسي الذي زار بيت المقدس كما أشرنا أعلاه، ووصف الحياة الدينية والثقافية في المدينة في رحلته المذكورة. وكذلك الشيخ البكري الصديقي وفق الاقتباس أعلاه، وهذا يشير إلى المكانة التي حظي بها رجال الصوفية في المجتمع، إضافة إلى علاقاتهم مع حكام الألوية المختلفين الذين مثلوا الإمبراطورية العثمانية في دمشق، مثل الوالي رجب باشا (ت. 1131هـ/ 1719م)، وهو أمير لواء القدس (أو سنجق القدس).

يذكر الشيخ البكري الصديقي في رحلته هذه أنّه زار عدة خلوات في بيت المقدس، نذكر على سبيل المثال: خلوة محمد الخليلي[42] التي تقع على يمين الصخرة، وخلوة فتح الله الدجاني في الحرم القدسي، لكن الخلوة المركزية التي كان يعتكف فيها تدعى الخلوة النحوية[43]، التي استخدمت كمدرسة لتدريس النحو العربي، وقد دعيت الخلوة التحتانية لأنها كانت تقع في طابق سفلي، وهناك خلوة أخرى تدعى الخلوة المنوّرة [44].

حول مسالة زواجه نذكر أن عمه محمد البكري الذي كان وصيا على أملاكهم، وعده أن يزوجه ابنته، فلم يتيسر له الأمر كما ورد ذلك لدى المرادي في سلك الدرر، ولدى بروكلمان في ترجمته لحياته في كل من دائرة المعارف الإسلامية، وتاريخ الأدب العربي بالألمانية.

من الجدير بالذكر أنّ الشيخ البكري الصديقي لم يستخدم في مخطوطته اسم الطريقة الخلوتية كسبيل صوفي ديني في كثير من الأحيان، وإنما مصطلحات مثل الطائفة، الطريق، المنهج المستنير الابهج[45]. ويبدو أن الشيخ الصديقي كان يبتغي نشر الطريقة في البداية بشكل بطيء، ليختبر مدى انتشارها وقبولها لدى مختلف الطبقات في المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى وجود طرق صوفية أخرى في القدس مثل: القادرية، والرفاعية، والشاذليّة، والمولوية [46]. وقد ورد دليل ذلك في مخطوطة الخمرة المحسية: "اجتمعنا في خلوة الدجاني (ذكر أعلاه) في الحرم نتذاكر

فيها فما مضت مدة حتى كثرت العدة، ففررنا من المحل لغيره خوفا من الاشتهار...وبعد أيام طلب السيد محمد الطريق (المقصود محمد الطواقي)، فأدخلناه على الاستخارة (أي طلب الإرشاد الإلهي) فكررها مرارا حتى بدت له أعلام التوفيق عن استنارة، فاندرج بحمد الله تعالى في سلك هذه الطائفة، التي محبها مجاب الدعوة، وتبعه صديقنا نور الدين في طلب الوصلة بالطريق المتين، فامتنعنا خوفا من عدم القيام بالشروط وفرقا من حل عقدة العهد المربوط، فأجاب بقبول الشرط والنهي والأمر، ولو كان بالجلوس على الجمر، **وأمرتهم بالكتم دون الإشاعة**، وأوصيتهما بحفظ ناموس الطريق وعدم الإضاعة...ثم جاء السيد مصطفى بن عقبة وأخوه عبد الله بهمة وجذبة وطلبا اندراجا في هذا المنهج المستنير الأبهج، فحصل لهما ما طلبا، وكذلك السيد داود وعبد الله المصري، وسليمان من أهل بيتونيا... وكنا نجتمع معهم في الخلوة النحوية، ونقرأ الأوراد جماعة بهم ... سيّما ورد السحر... الذي للألباب سحر، فإنا كنا نقرؤه بعد غلق الأبواب... ومكثت في تلك الخلوة ثلاثة أشهر"[47].

ويضيف الشيخ البكري في نهاية المخطوطة قائمة من الأشخاص الذين اتبعوا الطريقة الخلوتية في القدس، ورد في المخطوطة:" وكان ممن أخذ الطريق وانتسب لهذه الطائفة العلية الحاج علي شعال السلطانية". وفي موضع آخر:"وكان ممن أخذ الطريق في الجملة الحاج محمد بن نسيبة"[48]. ويبدو أن الذين اتبعوا الطريقة في رحلة الشيخ البكري الأولى إلى القدس لم يتجاوز العشرات من الأشخاص وفق اطلاعنا على المخطوطة، ومصادر أخرى. وهذا ليس عددا بالقليل بالنسبة لتلك الأيام.

ومن المعلوم أن الشيخ البكري كان حريصا لوضع شروط لهذه الطريقة، منها ما يرتبط بلباس المريد باستخدام الخرقة كما جاء في المخطوطة:"وقد كنت وضعت رسالة في آداب الخرقة سميتها: **النصيحة السنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية**"[49]، ونلاحظ من خلال العنوان مدى اهتمام الصديقي بذكر آداب وكسوة المريدين وممن اتبع الطريق، كوسيلة شرعية للطريقة. نذكر في هذا السياق أن الشيخ البكري قد التقى في الخلوة بالشيخ أبي فروة، وقد سمي بذلك لأنه كان زاهدا يلبس فروة على ظهره، ويظهر أن الشيخ البكري كان يرتدي الملابس الفاخرة، فسأله الشيخ: "أهكذا كان لباس صاحب الأخلاق المرضية؟... فقلت له ما معناه: اللباس الخشن تتخذه القوم زهدا في الدنيا. لكن قد يكون لابس الخيش غير زاهد القلب، ولابس الحرير متصف بذلك"[50].

ثم لم يغفل ترجمة شيخه عبد اللطيف، إذ أسمى رسالته: **الكوكب الثاقب في بعض ما لشيخنا من المناقب.** وهناك أيضا ما يرتبط بشروط هذه الطريقة ورد لديه: "فطلب الإخوان وصية ينتفعون بها تجمع معظم الأركان، وكان بعض شروط الطريق الراجح الميزان، فأجبتهم

لذلك، ولما تمت صعدنا بهم طور الإحسان، وقرأتها عليهم في ذلك المكان، وسميتها **الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية"**[51]. ولدى وصوله مدينة دمشق ألف رسالة تحت عنوان **"هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب"**[52].

يبدو لنا وفق مخطوطة الخمرة المحسية أن الشيخ البكري كان يشغل نفسه ليلا مع مجموعته التي رافقته من دمشق، وكذلك الذين اتبعوا الطريقة في بيت المقدس بالذكر والأوراد، وكذلك إحياء الليالي بالأدعية الخاصة، خاصة في الزوايا والخلوات[53].

نذكر بالنسبة لدمشق وبيت المقدس بدءا من الفترة المملوكية، وحتى الفترة العثمانية وجود علاقة متبادلة ثقافيا، فمن المعروف ان المدينتين ضمتا العديد من المدارس التعليمية، لذا نجد ممن سافر من دمشق إلى بيت المقدس، وكذلك من بيت المقدس إلى دمشق، وإن كانت مدينة دمشق لها المسؤولية الإدارية، والعسكري في الفترة التي ذكرناها.

لا نغفل ان الشيخ البكري الصديقي كان قد قام بزيارات مختلفة للأماكن المقدسة في القدس وضواحيها، وأماكن مقدسة أخرى، نذكر على سبيل المثال المقام المنسوب للنبي موسى بالقرب من أريحا، إذ كان الموسم الكليمي في ذلك العام نعني الاحتفالات والشعائر الدينية التي كانت تقام في المقام[54]. ويتحدث الشيخ البكري عن حدوث كرامات وأمور خارقة في المكان أثناء الزيارة وبعد رحيل الزائرين. ثم زيارة حسن الراعي، أي راعي أغنام موسى عليه السلام، ويقال إنه رعى للنبي شعيب عليه السلام أغنامه مدة عشر سنوات، وكذلك قام بزيارة الخليل، إذ زار الحرم الإبراهيمي وقبور الأنبياء في هذا المكان (مثل النبي إسحاق ويعقوب وغيرهما)، أما في القدس فقد زار جبل الطور، وقبر سلمان الفارسي وبعض الصالحين، وبالقرب من نابلس زار النبي يوشع بن نون وأماكن أخرى[55].

من الجدير بالذكر أن الشيخ البكري قام بزيارة الأنبياء الذين ذكروا في القرآن وكذلك الأتقياء والأولياء المعروفين، كما هو الأمر في السنة النبوية، وكان يدعو الله ويصلي بالقرب من هذه الأمكنة وليس يتوسل بواسطتها، عدا إشارته إلى بعض الحالات الخارقة عن العادة التي حدثت بجانب مقام النبي موسى، نذكر على سبيل المثال أنه عندما زار مقام النبي موسى عليه السلام، كان يشعر بصداع وعندما، رفع ستارة التابوت ووضعها على رأسه زال الصداع، وكذلك عندما يرحل الزائرون عن المقام، تاتي طيور وتنظف المكان [56].

نذكر أيضا أن الشيخ البكري الصديقي قد أكثر وأبدع في نظم القصائد لدى الأماكن المقدسة التي زارها في بيت المقدس والمناطق المجاورة لها، وهي بمثابة قصائد مديح لأصحاب المقامات، كما ورد الأمر في **"الخمرة المحسية"**، ومخطوطات أخرى بحوزتنا. بعض هذه

القصائد كانت من نظم المداح الذي يمتدح الأماكن المقدسة وأصحابها الذين كانوا يرافقونه، ولا نعلم فيم إذا كان المداح يعتاش من ذلك كجانب اقتصادي لدى زيارة الأماكن المقدسة. وفي هذه الرحلة لم يجعل أحد مريديه خليفة في القدس قبل مغادرته المدينة، وإنما في زيارة لاحقة كما سنشير لاحقا.

بعد أربع سنوات من زيارته إلى القدس، رغب الشيخ البكري الصديقي في زيارة بيت المقدس مرة أخرى، وقد وردت رحلته تحت عنوان "**الخطرات الثانية الانسية للروضة الدانية القدسية**"[57]. وقد غادر دمشق كما ورد في المخطوطة في أوائل شعبان عام (1126هـ/ 1714م)، ويذكر قبل سفره معلومة تاريخية ترتبط بالبدو وهجماتهم على السبيل، أو الطريق السلطاني، وكذلك قطّاع الطرق الذين شكلوا خطرا على قافلة الحج الشامي التي تخرج من مدينة دمشق في القرنين السابع والثامن عشر ورد لديه: "وظهر وانتشر أن عرب الصقر أهل الضرر منعوا السبيل السلطاني فتوجهت إلى زيارة شيخنا المرحوم الغارف من البحر... الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين...وجلست عند ضريحه وعرضت عليه ما سمعته...ففاحت حالا رائحة عطر سيسباني، ففهمت إشارته من أن الطريق فيه أمان وأماني"[58].

لقد اتبع الصديقي السبيل السلطاني المعروف فتوجه كما ورد في المخطوطة إلى سعسع والقنيطرة، ثم اتجه الى ارض صفد وجب يوسف، فالمنية، فعيون التجار، فجنين، فنابلس، فالبيرة. وقد نزل الشيخ البكري في هذه الرحلة في الخلوة الرصاصية[59]. ونزل فيها أيضا الخلوتي أحمد القادري البغدادي. وفي شهر رمضان انتقل إلى خلوة جار الله في الحرم، وكان ياكل في دار مصطفى بن عقبة. وهناك خلوات أخرى كان قد نزل فيها للقراءة، وكذلك لنشر الطريقة الخلوتية: نذكر على سبيل المثال: الخلوة البيرمية، وخلوة العروج[60]. ولم يغفل أيضا التكايا أو الزوايا.

وكما هو معتاد ينتهز الصديقي الفرصة لزيارة بعض ألاماكن المقدسة، أو التي تحتوي على مقامات للتوسل والدعاء، مثل النبي موسى، وإبراهيم الخليل عليهما السلام، وراعي الكليم، ونبي الله العزير في قرية العيزرية، والنبي داود، ثم زار مدينة نابلس، وقرية دير شرف، والبيرة، ومقام سيدنا علي شمال يافا، وكفر سابا. وهي في الحقيقة لا تخلو من أماكن مقدسة، أو مقامات. ثم زار أماكن مقدسة في جبل الطور، كذلك زيارة نبي الله شموئيل يظهر كما أشرنا أن الشيخ البكري الصديقي اهتم أيضا في نشر الطريقة الخلوتية ليس بنفسه فحسب، وإنما بواسطة أشخاص آخرين انضموا إلى الطريقة من قبل. نقتبس بعض الفقرات مما ورد في المخطوطة، نذكر على سبيل المثال في القدس:" وأمرت الطلاب أن ينفرد كل واحد في خلوة، ولو بإحرام أو إزار لتتحقق لهم بالوحدة المسرة"؛ "وتوجهنا... إلى التكية الهمية المسماة بالادهمية وطلب هناك الأخ الأمجد السيد محمد أرجوزة في الآداب، فأجبته لذلك". ولدى زيارته الخليل:" وممن اخذ الطريق فيه إبراهيم الخليلي، والحاج دياب، والشيخ محمد القيمري، والطرعاني" [61].

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ البكري الصديقي كما نوهنا من قبل، ألّف العديد من المنظومات الشعرية والرسائل والكتب التي حاول فيها شرح سبل الطريقة الخلوتية ومنهجها الديني والأخلاقي، نذكر على سبيل ما ورد في المخطوطة أعلاه: **الوارد الطارق واللمح الفارق، كتاب الضياء الشمسي، رسالة الصحبة التي أنتجتها الخدمة والمحبة، نظم القلادة في معرفة كيفية إجلاس المريد على السجادة، تشييد المكانة لمن حفظ الامانة، فيض الجليل في أراضي الخليل**. وجميعها مخطوط[62].

يشير الشيخ البكري الصديقي في المخطوطة المذكورة أعلاه (الخطرات الثانية)، إلى قدوم الوزير رجب باشا واليا، في أواسط شوال من نفس العام الذي زار به بيت المقدس (أي عام1126هـ/ 1714م)، حيث توثقت العلاقة به تدريجيا عندما كان مقيما في القدس. ورد في المخطوطة:" في أواسط شوال قدم الوزير المرجب نسبا رجب باشا...وطلب الوزير المذكور الجمعية، فأجبت بشرط أن تكون في المغارة الألمعية، ومنها تعلق قلبه وازداد بنا حبه"[63]. ومن المعروف ان هذه السنوات كان واليا محليا على سنجق القدس والخليل، قبل ولايته على مدينة دمشق، وهذا لم يذكر لدى بعض المؤرخين الذين تناولوا هذه الفترة بالذات، وما ورد لديهم تعيينه واليا على دمشق عام 1130هـ/ 1718م، وربما بعض الدارسين والمستشرقين في الفترة الحديثة اعتمدوا على بعض مؤلفات القرن الثاني عشر للهجرة. ونعتمد في إشارتنا أعلاه على مخطوطة ترجع للقرن الثامن عشر لمؤلف مجهول، تحت عنوان "**تاريخ القدس والخليل عليه السلام**"[64].

يشير الباحث محمد عدنان البخيت في مقدمة كتابه الذي ذكرناه أعلاه أن العلاقة قد توثقت بين الوزير رجب باشا، ومحمد الخليلي، والشيخ البكري بعد توجيه ولاية مصر للوزير عام 1131هـ/ 1719م.

ينوه الشيخ البكري الصديقي الى مدى اهتمام الوزير في قافلة الحج الشامي، خشية من قطاع الطرق، وكذلك التعميرات والترميميات في الأماكن المقدسة، التي قام فيها في مدينتي القدس والخليل، مثل مقام النبي داود، واشموئيل وغير ذلك من أماكن، ثم لا نغفل إحياء وقف الخليل وإدارة سماط إبراهيم عليه السلام، وهو بمثابة الطعام الذي يقدم للفقراء وغيرهم[65] بعد انقطاعهما مدة من الزمن. تجدر الإشارة أن مخطوطة تاريخ القدس والخليل عليه السلام المذكورة أعلاه، تشير إلى أعمال الوزير المذكور التعميرية للاماكن المقدسة في منطقتي القدس والخليل، في فترة السلطان أحمد الثالث (1115هـ-1143هـ/ 1703- 1730م). وهذا يؤكد ما جاء لدى الشيخ البكري في المخطوطة أعلاه من جانب، وأيضا لا نغفل اهتمام السلطة العثمانية في الأماكن المقدسة، ليس من الجانب الديني، فحسب وإنما كجانب اقتصادي أيضا.

لا شك أن العثمانيين اهتموا كما اشرنا أعلاه بالصوفية ، وبيان ذلك انتشارها بدءا في فترات السلاطين المختلفة وان تباينت مواقف تشجيع ودعم الطريقة لدى البعض منهم. وتظهر المخطوطة التي نحن بصددها مدى اهتمام الوزير رجب باشا ليس بالأماكن المقدمة فحسب وإنما بالاستماع إلى حلقات الذكر التي كان يقيمها الشيخ البكري الصديقي أثناء لقائه به، ورد في المخطوطة:" وأمرنا بإحضار إخواننا ومن إلينا ينتمي، من كل قائل في الظل يحتمي...أجلسنا لديه وقربني اليه وامر بالذكر في الحضير الكبير وجلس هو فوق المصفة ليسمع التهليل والتكبير..."[66].

وقد عاد الشيخ البكري الصديقي إلى دمشق عام (1127هـ/ 1715م) كما ورد في رحلته الثانية إلى بيت المقدس، وهكذا فان رحلته استمرت أكثر من عام[67].

في عام (1128 هـ/ 1716م) استقام الشيخ البكري في الشام كما يشير في نهاية مخطوطة "**الخطرات الثانية**" ثم توجه لزيارة حلب، ويشير البكري في نهاية المخطوطة الى اسم الرحلة وهي تحت عنوان "**الحلة الذهبية في الرحلة الحليبية**"[68]. ثم توجه نحو بغداد حيث يقول في مخطوطة الخطرات الثانية :"واستقمت في الشام من سنة 1128هـ إلى أن مضى الثلثان من شهر رجب الحرام فتوجهت إلى حلب المعمورة"[69]، وفي مخطوطة الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية يشير:" كان كثيرا ما يخلج في بالي فيهيج أشواقي وبلبالي زيارة بغداد ورجالها الموالي"[70]، حيث انتهزها فرصة لزيارة قبر الشيخ الصوفي عبد القادر الجيلاني[71]، ونزل هناك في خلوة واسعة، يذكر في هذا السياق: "وخلت خلوتنا من الاغيار وامتلأت بالأسرار والأنوار"[72].

تظهر مخطوطة الحلة الذهبية الزيارات التي قام بها الشيخ البكري للاماكن المقدسة المختلفة في سوريا، نذكر على سبيل المثال مدينة حمص حيث زار قبر خالد بن الوليد، ويمدحه بقصيدة مطلعها:

نار شوقي بلوعة القلب زيدي في هوى الفرد خالد بن الوليد

ولا يغفل أن يذكر بجانب المدينة العرب، أو البدو الذين يقومون بنهب الأموال وسرقة قوافل المارة كرصد للواقع في القرن الثامن عشر، ثم مدينة حماه حيث زار جامعها، كذلك المعرة ومدينة حلب حيث زار زكريا عليه السلام ويحيى الحصور، ونزل في تكية الشيخ أبي بكر بن أبي الوفا، ثم إلى طرابلس الشام وجبلة وطرسوس، إذ نزل في خلوة مدرسة الحدادين، وفيها أجاز بعض الأتقياء في الطريقة الخلوتية[73] نضيف أنه زار مقام النبي يوشع بن نون عليه السلام في المنية. ثم زار بيروت، ومن هناك توجه مرة أخرى نحو فلسطين، فزار عكا، وجنين، ونابلس ودخل القدس للمرة الثالثة، حيث نزل في الخلوة البيرمية، ثم انتقل في أول شهر رمضان إلى خلوة جار الله. وتشير المخطوطة أنه زار مدن الساحل مثل غزة، وعسقلان، والرملة، وعاد إلى

دمشق.[74] ويبدو أن الشيخ البكري الصديقي لا تظهر في زياراته ملامح تبعد كثيرا عن العبادة والزيارات لدى أهل السنة؛ لأنه يهتم بزيارة الأنبياء المذكورين في القرآن من جهة، ناهيك أنّ الأدعية لدى الأماكن المقدسة لا تخرج عن المقبول في الإسلام السني.

في عام (1129هـ/1717م) عزم عمه على الحج للمرة الأولى فتوجه معه وقد وعده من قبل أن يزوجه ابنته فلم يتم ذلك، حيث رحل إلى بيت المقدس وتزوج هناك. وفي هذه الأثناء أشرنا إلى قدوم الوالي رجب باشا إلى فلسطين، كجانب إداري بعد أن تم التعرف عليه من قبل حيث اصطحبه إلى مصر في العام المذكور أعلاه، بعد أن قام بنشر الطريقة في كل من المركزين الهامين دمشق وبيت المقدس[75].

لقد توجه البكري الصديقي لحلب للمرة الثانية عام (1135هـ/ 1723م) كذلك نحو طرابلس وحمص وحماة، وقد نزل في حماة في بيت السيد يس القادري الكيلاني شيخ القادرية في مدينة حماة واخذ عنه الطريقه القادرية، ثم اتجه من حلب إلى استانبول حيث وصلها في السابع عشر من شعبان[76]. ونزل فيها في مدرسة سورتي، ثم زار العديد من المدارس، وانتهز الفرصة للتأليف، وكان يجتمع هناك مع شيخه وتلميذه محمد بن احمد التافلاتي.[77] بعد ان مكث فيها أربع سنين، وفق رواية المرادي، وسنة واحدة حسب الجبرتي في ترجمتيهما للبكري.

إن زيارة الشيخ البكري لحلب في المرة الثالثة كانت عام (1139هـ/ 1727م)، ثم توجه نحو العراق، فزار مدينة بغداد للمرة الثانية، فنزل في التكية القادرية، وكذلك نحو الموصل، وفي هذه الأثناء وصله كتاب من شيخه عبد الغني النابلسي يطلب منه العودة إلى الشام ابتغاء والدته، فرجع إلى حلب للمرة الرابعة ومنها إلى مدينة دمشق، حيث نزل في التكية الباذرائية.

ثم رحل إلى صفد عام (1140هـ/ 1728م)، ومنها إلى القدس، حيث عزم منها على زيارة الحجاز لأداء فريضة الحج عام (1145هـ/ 1733م) للمرة الثانية، وسلك طريقه للحج من مدينة نابلس إلى المدينة المنورة، ومكة المشرفة، وقضى فيها المناسك العامة للحج. وهذا يعني انه بقي في القدس بين الأعوام المذكورة أعلاه.

عاد الشيخ البكري الصديقي إلى القدس ليس لزيارة الأماكن المقدسة بقدر أن عنايته الأساسية كانت ابتغاء نشر الطريقة الخلوتية، وأجاز في القدس للشيخ محمد بن احمد الحلبي المكتبي، وجعله خليفة له في القدس، الذي يعد الخليفة الآخر نعني الحفني في مصر[78].

وفي عام (1148هـ/1736م) توجه الشيخ البكري الصديقي لزيارة البلاد الرومية ومن ثم الى القسطنطينية، وهذه تعدّ المرة الثانية التي يزور فيها الشيخ البكري السلطنة العثمانية حيث اجتمع مع التافلاتي المذكور اعلاه، كجانب في تعزيز الطريقة، لكن لا يوجد معلومات لدينا حول

اهمية هذه الزيارة. وبعدئذ توجه بحرا الى الاسكندرية لدخول مصر، حيث انتشرت الخلوتية الى ان وصل عدد المريدين الى مائة الف شخص وفق رواية المرادي. يذكر المرادي والجبرتي أن الشيخ البكري طلب عدم تسجيل اسماء المريدين لان الطريقة لا تقاس بعدد افرادها "هذا لا يدخل تحت عدد"[79]. ولا شك كما اشرنا من قبل ان نشر الطريقة بهذا الشكل كان نتيجة لخليفته محمد الحفني[80] الذي عينه خليفة له في مصر، كما فعل ذلك في بيت المقدس كما اشرنا اعلاه. وهذا الجانب يعتبر امرا هاما حول نشر فكرة او عقيدة من العقائد. نذكر ان انتشار الخلوتية بعد الشيخ البكري في مصر كانت بمساهمة الحفني.

وفي عام (1149هـ/1737م) عزم الشيخ البكري على الحج للمرة الثالثة، ثم رجع إلى مدينة دمشق، حيث كان واليا سليمان باشا العظم وفق رواية ابن كنان في "**المواكب الإسلامية**"[81]. ولا توجد معلومات كافية لدينا حول المدة التي مكث في دمشق قبل انتقاله إلى كل من القدس ومصر وهي المحطة الأخيرة في حياته. ففي عام (1152هـ/ 1740م) توجه نحو القدس، حيث مكث فيها حتى عام (1160هـ/ 1747م)، أي سبع سنوات، ومنها توجه إلى مصر وأقبل على الإرشاد بشكل مكثف، والناس يقبلون على هذا الأمر. وفي عام (1161هـ/ 1748م) عزم على الحج للمرة الرابعة، وهي بمثابة رحلة الحج الأخيرة له وقد عاد منها إلى مصر، حيث سكن بدار عند قبة المشهد الحسيني، فأدركته المنية في القاهرة عام (1162هـ/ 1749م)، ودفن بتربة المجاورين كما أشار الجبرتي في "عجائب الآثار من نفس العام كما أشرنا أعلاه.

نتائج الدراسة

لا شك أن الشيخ البكري الصديقي، كان له الاثر الكبير في نشر الخلوتية في الشام بالمفهوم العام والخاص، أي في سوريا، وفلسطين، أو في دمشق، بواسطة أتباعه من الطريقة نفسها، حيث دأب على نشر مؤلفاته أيضا في هذا المجال، كأداة لغرس تعاليم الخلوتية في نفوس الأتباع الجدد، وقد لا حظنا أن نشرها لم يواجه عقبات، وهذا يعني أن السلطة العثمانية في إستانبول شجعت نشر الطرق الصوفية على اختلاف أنواعها.

وقد استغل البكري أثناء رحلاته المختلفة زيارة الاماكن والمقامات المقدسة، كنهج وكشرعية لزيارتها رغم معارضة أوساط سياسية دينية في القرن الثامن عشر، لمثل هذه الزيارات، نخص بالذكر أتباع حركة قاضي زادة (ت.1044هـ/ 1634) في إسناتبول، الذين رفضوا مثل هذا النهج في سنوات الخمسين من القرن السابع عشر[82] وكذلك من يتبع التيار الحنبلي الذين حاربوا هذه الظاهرة بدءا من الفترة المملوكية، وقد ظهر هذا الجانب من خلال مؤلفات ابن تيمية المختلفة.

The Spread of Khalwati Tariqa, as Reflected in Visits of Mustafa Al-Bakri Al-Siddiqi Al-Diashqi Al-Khalwati to Jerusalem and Syria in the Eighteenth Century

Ghaleb Anabseh, *Department of Arabic, Beit Berl College Academy.*

Abstract

In this article I wish to survey the impressions of al-Bakrī (Mustafā bin Kamāl al-Dīn al-Bakrī al-Siddīqī, d. 1749) of his visit to Syria and Jerusale in 1710, as documented in his *al-Khamra al-mahsiyya fī al-rihla al-Qudsiyya*, (*The Sipped Drink on a Journey to Jerusalem*) which he began writing during his stay in Palestine. In his manuscript al-Bakrī describes not only the places he visited but also the religious, social and cultural life of the Muslims there.

His second journey to Syria and Jerusalem, in 1714, is described in *al-Khatarāt al-thāniya al-insiyya lil-rawda al-dāniya al-qudsiyya*, (*The Second Friendly Gait to the Nearby Garden of Jerusalem)*.

Al-Bakrī's desire to visit Jerusalem clearly had a religious and historical motivation. However, it appears that he had another objective as well, namely to bring new members into the Khalwatī Order, and to visit holy sites in Palestine.

Al-Bakrī was the head (*shaykh*) of the Khalwatī Order in Syria and Palestine and did much to enhance the order's status in the eighteenth century. To the best of our knowledge the Khalwatī Order originated in Anatolia and the Caucasus. It penetrated into Istanbul in the fifteenth century and from there it spread to Syria and Palestine, Egypt and Hejaz.

قدم البحث للنشر في 2009/8/2 وقبل في 2010/4/19

الهوامش

1 انظر: البكري الصديقي، مخطوطة **الخمرة المحسية في الرحلة القدسية**، مخطوطة المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، مكتبة المدينة المنورة، عارف حكمت، رقم 3840. لدى العديد من الباحثين الذي اطلعوا على نسخة المخطوطة نجد اسم الرحلة الخمرة الحسية.

2 انظر: ليندا شيلشر، **دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر** (ترجمة عمرو الملاح، دينا الملاح)، دمشق، 1998 ، ص189.

3 Rafeq, A. K., *The Province of Damascus1723-1783*, Beirut, 1966 p. 97 انظر ايضا: ابن كنان، **المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، دمشق، 1992، ج1، ص 76.

4 انظر: Hourani, A. H., "The Fertile Crescent in the Eighteenth Century", in: *A Vision of History and other Essays*, Beirut, Khayat's,(1961), p.55. Rafeq, A. K., *The Province of Damascus1723-1783*, p. 97-101; F. De Jong., "Khalwatiyya", in: *EI²* IV (1978), pp.991-993. قارن ايضا: Trimingham, J. S., *The Sufi Orders in Islam,*London, London, Oxford University press, 1971. p. 107.

5 الباحث فيغارت في رسالة الدكتوراة يذكر بان المرادي في **سلك الدرر** قد ذكر بان البكري الصديقي قد توفي عام 1192 للهجرة 1778م، وهذا ليس دقيقا انظر: محمد بن خليل المرادي، **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر**، بيروت، 1988، ج4، ص199؛ قارن: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والاخبار**، القاهرة، 1998، ج1، ص(454. (تحقيق عبد العزيز جمال الدين). قارن: C. Brockelmann, "al-Bakrī", in: *EI²* I (1986), pp. 965-966.

6 انظر: يذكر ابن الزيات في كتابه، **الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة**، ان القرافة الكبرى تقسم الى ثلاث جهات الاولى النقعة الصغرى والمشاهد والنقعة الكبرى، والثانية جهة الامام ورش والمصيني والعثمانية وسنا وثناء والثالثة جهة الجبل وغيره. قارن: عبد المنعم الحفني، **الموسوعة الصوفية**، القاهرة، 2003، ص82- 83.

7 يقصد الشيخ صاحب الكرامات احمد البدوي اكبر اولياء مصر (ت. 1276م)، انظر: مادة احمد البدوي في **دائرة المعارف الاسلامية.**

8 لا نعلم بأي تربة من الترب قد دفن الصديقي، لكن من المهم ان ابن الزيات في المصدر أعلاه يذكر في القرافة مقبرة البكريين "وهم جماعة من نسل ابي بكر الصديق رضي الله عنه" كما ورد في ترجمته اعلاه. ص227.

9 انظر: يوسف النبهاني، **جامع كرامات الاولياء، القاهرة**، القاهرة، 1962، ج2، ص474.

10 يذكر بروكلمان في **دائرة المعارف الاسلامية** مادة البكري"al-Bakrī" ان عمه قد رعاه "was brought up by his uncle" بينما في **تاريخ الأدب العربي** بالالمانية يذكر ابن عمه. انظر: دائرة المعارف الاسلامية، مصدر سابق ص 956، وكذلك ايضا: C. Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Literatur*, Leiden, 1949 s II, p. 348; s II, p. 477. قارن: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص 190. انظر ايضا مادة تصوف في **دائرة المعارف الاسلامية**: "Tasawwuf", in *EI²* V X (1996), Leiden, pp. 313-340.

11 محمد الدكدكجي تركماني الاصل صوفي ولد في دمشق ودفن بمرج الدحداح، اما مراد الازبكي فهو ايضا نزيل دمشق نقشبندي صوفي هاجر الى بلاد الهند واخذ هناك الطريقة النقشبندية المجددية (وهي الاكثر انتشارا بالمقارنة مع النقشبندية التقليدية)، وتوفي في القسطنطينية، أما الغزي فولد في دمشق وتوفي بمكة. انظر: المرادي، **سلك الدرر**، بيروت، 1988،ج4،ص25-27، 129، ج1،ص118. حول النقشبندية المجددية انظر مادة تصوف مصدر سابق في دائرة المعارف الاسلامية ص333. قارن: Ralf, Elger, *Mustafa* al-Bakrī*: Zur Schenefeld:* EB Verdag, 2004 , p. 45.

12 انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص191-ص192. **المسلسل بالاولية**، هو كتاب لابي الفتح الميدومي (ت.766هـ/ 1364م). كما ورد الامر لدى حاجي خليفة في **كشف الظنون**، استانبول، 1365هـ، ج2، ص 1677. قارن: الجبرتي، **عجائب الاثار**، ج1،ص305. حول ابن ماجه فقد اختلف العلماء فيه فجعلوا الكتاب السادس موطأ الامام مالك، وعلينا ان نشير ان الكتب الصحاح هي غير الكتب الستة وانما سميت الكتب الستة بالصحاح على سبيل التغليب. انظر: صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحاته**، بيروت، 1978، ص 118-119، محمد بن جعفر الكتاني، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، دمشق، 1332هـ، ص10-11.

13 متصوف ولد ونشأ في دمشق ورحل الى بغداد وعاد الى سورية وتنقل في فلسطين وسوريا والحجاز، توفي في دمشق، وله رحلات عديدة اهمها، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية وقد صدرت في بيروت عام 1990، والحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، صدرت في دمشق عام 1998.** انظر ترجمته في **عجائب الآثار**، ج1، ص 154؛ كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، بيروت، 1987، ص832.

14 القادرية تسمى ايضا الطريقة الجيلانية، وتنسب الى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت. 562هـ/ 1166م) الذي اسسها في القرن الخامس للهجرة في مدينة بغداد، ومن اهم مبادئها انسجام الطريقة مع مبادئ الشريعة، انتشرت في جميع البلاد الاسلامية، واما الطريقة النقشبندية فقد اسسها محمد بهاء الدين البخاري الشهير بنقشبند (ت.801هـ/ 1389م)، وكانت تسمى في البداية الصديقية نسبة الى الخليفة الراشدي ابي بكر الصديق رضي الله عنه، وتنتشر حاليا في الهند وتركستان وتركيا وبلاد الشام، وحول النقشبندية المجددية فهي طريقة الشيخ مراد اخذها من الهند على يد الشيخ احمد معصوم. Zarcone, TH., "Tasawwuf", in *EI²* V. X Leiden (1996), pp. 313-340. انظر: ممدوح الزوبي، **الطرق الصوفية ظروف النشاة وطبيعة التطور**، دمشق، 2004، ص111، ص158. ويبدو أن البكري اخذ الطرق الصوفية من عدة شيوخ فمثلا النقشبندية من عبد الغني النابلسي وكذلك من مراد الأزبكي البخاري (ت.1133هـ/ 1720م). انظر ايضا: Trimingham, J. S., *The Sufi Orders in Islam,* Oxford University press, 1971, p. 62; 186. قارن ايضا: Margoliouth, D.S. "Qadiriyya", *EI²* IV 1997, pp. 380-384; Algar, H. "Nqshabandiyya", *EI²* VII Leiden, 1993, pp. 934-936.

15 انظر: النبهاني، **جامع كرامات الأولياء**، القاهرة، 1962، ج2،ص481؛ قارن: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص194.

16 انظر: النبهاني، **جامع كرامات الاولياء**،ج2،ص481. مع العلم أن هذه الطريقة لم تعرف بهذا الاسم الا في القرن الرابع عشر.

17 انظر، ترجمته لدى المرادي في **سلك الدرر**، ج3،ص 123. قارن: F. De Jong., "Khalwatiyya", in: *EI²* IV (1978), pp.991-993. يذكر الجبرتي في عجائب الآثار "رباه الشيخ عبد اللطيف الحلبي وغذاه بلبان أهل المعرفة والتحقيق" ج1، ص246. قارن: علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة**، القاهرة، 1304- 1306هـ، ج3، ص129.

18 "الدحداح" نسبة لأبي الدحداح الصحابي عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان (ت.665هـ/ 1266م) والتي تقع شمالي المدينة، انظر: عبد القادر النعيمي، **الدارس في تاريخ المدارس**، بيروت، 1990، ج1، 104.

19 هذه المدرسة داخل باب الفراديس والسلامة شمالي جيرون وقد كانت قبل ذلك دارا تعرف باسم احد أكابر الأمراء، وقد أنشاها نجم الدين عبد الله بن أبي الوفاء البادرائي، ولي القضاء في بغداد على كره منه (ت.655هـ/ 1257م). انظر: عبد القادر النعيمي، **الدارس في تاريخ المدارس**، ج1، ص154، لكنه يذكر المدرسة باسم البادرائية بحرف الدال. ولدى ابن كنان في **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، ج1،ص 325 يذكر المدرسة البدرائية لكنها بالصالحية بسفح قاسيون. قارن: Ralf Elger, *Mustafa al-Bakrī* , p. 53.

20 انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص191؛ قارن: النبهاني، **جامع كرامات الأولياء**،ج2، ص 472، حيث يورد نفس الرواية.

21 انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، ج1، ص452. ورغم ان نشاته كانت في دمشق، فما يجذب النظر أن الجبرتي في ترجمته يذكر أن البكري الصديقي قد نشأ في بيت المقدس ورعاه بالعلم الشيخ عبد اللطيف الحلبي، ورد لديه:"نشا ببيت المقدس على اكرم الأخلاق وأكملها، رباه شيخه الشيخ عبد اللطيف الحلبي وغذاه بلبان المعرفة والتحقيق، ففاق ذلك الفرع الاصل، وظهرت به في أفق الوجود شمس الفضل فبرع فهما وعلما وأبدع نثرا ونظما".

22 انظر: Martin. B. "A Short History of the Khalwati Order of Dervishes", in (Keddi N. R. ed): *Scholars Saints and Sufis, Muslim Religious Institutions since 1500,* Berkeley-Los Angles, 1972,p. 275-305; Kissling, H.J. "Aus der geschichte des Chelvetiyya", *Z.D.M.G* (102), 1953, pp. 233-289; F. De Jong., "Khalwatiyya", pp.991-993.

23 انظر: Halil Inalcik, *The Ottoman Empire The Classical Period 1300-1600.* (N. Y.) 1989, pp. 70-75.

24 انظر: F. De Jong., "Khalwatiyya",*EI²* IV pp..991-993. قارن: محمد زاهد الكوثري، **البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية**، بيروت، 2004، ص21- ص34. يذكر المؤلف كامل السلسلة الى الشيخ عبد الطيف الحلبي. قارن أيضا: محمد حسين مخلوف العدوي، **أوراد السادة الخلوتية**، القاهرة، 1963، ص67؛ عبد الخالق الشبراوي، **سراج اهل البدايات في التصوف**، القاهرة، 1366هـ، ص 180. يذكر الباحث محمد عدنان البخيت في كتاب تاريخ القدس والخليل (لندن: 2004) ان محمد الخلوتي يعتبر مؤسسها

وتعرف ايضا بالقرباشية وهي طريقة مؤيدة بالشريعة والحنفية واهم من نشر تعاليمها هو الشيخ مصطفى البكري في القرن الثامن عشر، ص89.

25 ذكره بروكلمان في تاريخ الادب العربي ودائرة المعارف الاسلامية في مادة البكري الصديقي التي ذكرناها سابقا. قارن: طاشكبري زادة، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، في حاشية وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، القاهرة، 1299 هـ، ج2،ص 161- 165. قارن: Ralf Elger, *Mustafa al-Bakrī*, p. 62.

26 انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج3، ص 123. قارن: Ralf Elger, *Mustafa al-Bakrī ,pp.* 44-45; 62-63.

27 محمد مطيع الحافظ، **علماء دمشق واعيانها في القرن الثاني عشر الهجري**، دمشق، 2000، ج1،ص246؛ محمد زاهد الكوثري، **البحوث السنية عن بعض رجال اسانيد الطريقة الخلوتية**، ص28-ص34.قارن: F. De Jong., "Khalwatiyya", in: *EI²* IV .pp. 991-993.

28 النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**، بيروت، 1990، ج1،ص13؛ البصروي، احمد بن محمد، **تحفة الانام في فضائل الشام**، دمشق، 1998، 271؛ العدوي، ياسين بن مصطفى العدوي، **كتاب الزيارات بدمشق**، دمشق، 1956 ، 16؛ ابن حبيب (**مخطوطة**)، محمد بن حبيب، **دُرَ النِظام في مَحَاسِنِ الشَام**، مخطوطة Princeton مجموعة يهودا،Yahuda Collection رقم. 1862. fol.8v (Els) الايبش، الشهابي، احمد الايبش، قتيبة الشهابي، **معالم دمشق التاريخية**، سوريا، 1996، ص75-77؛ Kister, M. J., "Sanctity Joint and Divided", *JSAI*, XX (1996), pp.27-28.

29 اعتمدنا على مخطوطة المدينة المنورة في السعودية مكتبة عارف حكمت، رقم 3840. وهناك مخطوطة اخرى: في جامعة برينستون: Yahuda garret, Col. MS, no. 4478

30 انظر: **برء الاسقام في زيارة برزة والمقام**، مخطوطة المدينة المنورة، مكتبة عارف حكمت، رقم. 3840. هناك نسخة اخرى في جامعة برينستون:.Yahuda garret, Col, MS.no.4478 fol. 56v قارن: علي بن محمد الربعي، **فضائل الشام ودمشق** دمشق، 1950، ص61-67.

31 مكان يحتوي على اماكن مقدسة في دمشق ، وهناك جبانة العراق ومكة المكرمة وجبانة وعلا في الاسكندرية، راجع الهروي، **الاشارات الى معرفة الزيارات**، القاهرة، 2002، فهارس الكتاب 95.

32 يراجع: ابن تيمية، **كتاب الزيارة**، بيروت، د.س، ص11؛ **الفتاوى الكبرى** بيروت، 1988، ج5ص: 39 ؛**مجموع فتاوى ابن تيمية**، القاهرة، 1980، ج 27:ص 25 – ص27 ،ص 216 – ص219. يراجع: ابن تيمية، **الجواب الباهر في زوّار المقابر**، بيروت، 1997، ص 29 ،ص32 ،ص38؛ **قاعدة في زيارة بيت المقدس** Matthews, Ch., in: *JAOS* I*(*1936*)* pp.21-26، وفي **الجواب الباهر**، يقول بالنسبة للزيارة البدعية "حتى أن أبا هريرة سافر إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام فقال له بصرة بن أبي بصرة الغفاري: لو أدركتك قبل أن تخرج لما خرجت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد:المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس." يراجع الكتاب، ص 33.

33 انظر: مخطوطة المدينة المنورة في السعودية مكتبة عارف حكمت، رقم 3840. راجع **الخمرة المحسية**، في نفس المجموع للمدينة المنورة الخاص بالبكري الصديقي، fol. 13r

34 انظر: كرم أمين ابو كرم، الشيخ مصطفى البكري، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2002 .

35 انظر: المرادي ، **سلك الدرر**، حيث ورد في فقرات مختلفة انه حج أربع مرات، ج4، ص192- 194. تجدر الاشارة ان بروكلمان ربما لم يدقق في هذه المسالة فقد ذكر انه حج مرتين، وقد توفي في القاهرة. انظر: بروكلمان: مصدر سابق -al ,C. Brockelmann, *GAL*, S II, p. 348; S II, p. 477; C. Brockelmann, "Bakrī", in: *EI²* V. I, p. 966. وفق المرادي في **سلك الدرر** فإنه يذكر سنوات الحج لديه في ج4، ص192-ص194، وهي 1717م؛ 1733م؛ 1737م؛ 1748م ومن ثم عاد الى مصر ومرض ودفن هناك. قارن: Ralf Elger, *MusÔafa al-Bakrī* ,p. 74-80.

36 البكري الصديقي، **الخمرة المحسية في الرحلة القدسية**، مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة، السعودية، رقم 3840؛ وهي التي سنستخدمها؛ احمد سامح الخالدي، **رحلات في ديار الشام**، يافا، 1946، نشر جزءا منها ولديه نسخة منها؛ ويذكر يوسف سدان نسخة أخرى للمخطوطة في مقالته بالفرنسية في جامعة استانبول:Sadan, J., "Le Tombeau de Moïse à Jéricho et à Damas",in: *REI*, (1981) p.95, Ar. 337 وهناك نسخة أخرى في مكتبة برلين، رقم 46، وكذلك في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية، رقم 1369.

37 انظر: البكري الصديقي، مخطوطة **الخمرة المحسية في الرحلة القدسية**، fol. 2r-2v.

38 انظر: النابلسي، عبد الغني النابلسي، **الحضرة الانسية في الرحلة القدسية**، بيروت، 1990. اما تاريخ الرحلة فكان عام 1102هـ/ 1690م، طبع جزء منها بمصر في مطبعة الإخلاص عام 1902، تحت عنوان"**رحلتي إلى القدس**"، ونشر احسان النمر جزءا منها في نابلس عام 1972 تحت عنوان"**المختار من الحضرة الانسية في الرحلة القدسية**"، وفي عام 1918 نشر R. Graf. في مدينة Saalfeld الالمانية جزءا منها. وكذلك، احمد سامح الخالدي في **رحلات في ديار الشام**، يافا، 1946 نشر موجز الرحلة.

39 قرية غرب مدينة دمشق، انظر: مصطفى طلانش، المعجم الجغرافي للقطر السوري، ج3، ص621، 2002.

40 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 8r.

41 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 8v-9r. ومن المعلوم ان عائلة الدجاني والعلمي في بيت المقدس كانت لهما وظائف فيما يتعلق ببعض الاماكن المقدسة، انظر: Ze'evi, D., *An Ottoman Century* (Albany), 1996. اما عائلة العلمي فقد أشغل أبناؤها وظائف دينية وقضائية في القدس منذ القرن السابع عشر فانظر: W. S. Khalidi, " al-'alami" in*: EI²* I Leiden- London, 1960, p. 352. أما عائلة الدجاني، ينظر: محمد المحبي، خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، د.ت، ج2، ص240.

42 هو محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي المقدسي، أغفلت المصادر سنة ولادته أجاز له عبد الغني النابلسي، قد كان واسع الثقافة في العلوم الدينية، اصطحبه البكري الصديقي لدى قدومه بيت المقدس لزيارة الأماكن المقدسة القريبة من القدس الشريف، زار دمشق عام 1717م ودرّس في جامعها، وقد كان وفق نظرة معاصريه احد اعلام القدس، ذكرت المصادر انه كان صوفيا، وقد كانت له خلوة في القدس تدعى بخ بخ (ت. 1734م). انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص95، حسن عبد اللطيف الحسيني (ت.1809م)، **تراجم اهل القدس في**

القرن الثاني عشر الهجري، عمان، 1985، ص152- 158؛ ابن كنان، محمد بن كنان الصالحي، **يوميات شامية من** 1699- 1740، دمشق، 1994، ص271؛ محمد بن شرف الدين الخليلي، **تاريخ القدس والخليل**، لندن، 2004، مقدمة تحقيق محمد عدنان البخيت، نوفان رجا الحمود السوارية، ص3- ص62.

43 مصطلح خلوة يدل على العزلة عند بعضهم وغير العزلة عند البعض الآخر، وهي الانس بالذكر والاشتغال بالفكر، راجع، عبد المنعم الحفني ، **معجم مصطلحات الصوفية**، بيروت، 1987، ص 92؛ ممدوح الزوبي، **معجم الصوفية**، بيروت، 2004، ص155-ص156؛ ابن عربي، **معجم مصطلحات الصوفية**، بيروت، 1990، ص68؛ قارن: **الخمرة المحسية**، fol. 11r; 21v.

44 انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4، ص192.

45 انظر: البكري الصديقي، **الخمرة المحسية**، fol. 21v

46 راجع ترمنجهام بالنسبة للطرق الصوفية في القدس عامة Trimingham, J. S., *The Sufi Orders in Islam,*p.16-60; 186. Bosworth. C. E., "Rifa'yya", *EI²* 8 Leiden (1995), pp. 525-526.

47 انظر**: الخمرة المحسية**، fol. 21v-22r.

48 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 31v-fol. 32v.

49 لقد صدرت كراسة ماجستير في جامعة النجاح في نابلس، 1999. حققها ابراهيم ربايعة لكن الدراسة ليست عميقة او علمية حول المخطوطة.

50 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 30v

51 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 25v-fol. 32v

52 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 34v

53 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 22r يذكر "وفي كل ليلة نذهب الى محل مختص بالزيارة لاجل احياء تلك الليلة بانفس طهارة".

54 انظر: Sadan, J., "Le Tombeau de Moïse à Jéricho et à Damas",in: *REI*, IXL pp. 60-96; Canaan, T., *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, Jerusalem, 1927,pp.117-193. قارن: العسلي، كامل جميل العسلي، **موسم النبي موسى في فلسطين: تاريخ الموسم والمقام**، عمان، 1990، ص75- 100؛ **الخمرة المحسية**، fol.9v.

55 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 13r, 20v, 22v.

56 انظر: **الخمرة المحسية**، fol. 11r; 12r.

57 مخطوطة عارف حكمت، المدينة المنورة، رقم 3840، وهي من نفس المجموع الذي حصلنا عليه.

58 انظر: **الخطرات الثانية الانسية**، نفس مجموع المدينة المنورة fol. 36v. اما عرب الصقر فكانوا مقيمين في منطقة الغور، وكانوا على خلاف ونزاع دائم مع عرب التركمان في القرن السابع عشر، انظر: علياء الخطيب،

عرب التركمان: ابناء مرج ابن عامر، عمان، 1987، ج1، ص21-25. حول قطاع الطرق انظر المخطوطة fol. 41r. وقد ورد موضوع قطاع الطرق في مخطوطة الخمرة المحسية للبكري، fol. 6v; 18r; 18v - . Rafeq, A. K., *The Province of Damascus1723-1783*, pp.21-23;52- 59.

59 نظن انها المدرسة الرصاصية راجع: كامل جميل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، عمان، 1981، ص324. انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 38r.

60 الخطرات الثانية، fol. 39v; 40v.

61 الخطرات الثانية، fol. 39r; 41v; 49v .

62 الخطرات الثانية، fol. 39r; 41v;47v.

63 **الخطرات الثانية**، fol. 38v; 39r. وفق بروكلمان في تاريخ الادب العربي بالالمانية لم يذكر انه تعرف على الوزير في عام 1714م وانما عام 1717م ، وكذلك في دائرة المعارف الاسلامية يذكر عام 1710م يشير انه تعرف على الوزير راغب باشا ونظن انه رجب باشا حيث اصطحب الوزير البكري الصديقي في زيارته الى مصر عام 1717م قارن: Zambaur, de. E., *Manuel de genealogie pour l'histoire de l'Islam,* Hannovre, 1927, p.167; Ralf Elger, *Mustafa al-Bakrī* ,p.40. قارن: الدمرداشي، الدرة المنصانة، 134- 142.

64 مؤلف مجهول (**مخطوطة**)، **كِتاب تاريخ القدس والخَلِيل عَلَيْهِ السَلام** وقد اشرنا في ملاحظة سابقة ان المخطوطة قد صدرت بتحقيق البخيت ونوفان Oxford, Bodl. Clark 33. نشير ايضا ان الوالي رجب باشا المذكور توفي (1131هـ / 1719م)، عدنان البخيت في مقدمة تحقيقه لتاريخ القدس والخليل عليه السلام، لندن، 2004 يذكر وفق سجل شرعي لمحكمة القدس رقم 209 القسم الاول من الملاحظات انه توفي عام 1726. وقد ولي دمشق بين 1718م– 1719م، انظر: محمد مطيع الحافظ، **علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري**؛ ج1، ص407؛ قال في ولاة دمشق: "تولي دمشق في 13 ربيع الاول 1130 هـ/1717م حج بالركب الشامي سنة 1130هـ ، وكان القاضي بدمشق علي افندي اوليا زاده، وتولي مكانه عثمان باشا ابو طوق في 23 جمادي للمرة الثانية". انظر: **ولاة دمشق في العهد العثماني**، دمشق، 1949،ص57، قام بنشره صلاح الدين المنجد. ورد ايضا ذكره لدى ابن كنان، في مقدمة **المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، دمشق، 1992،ج1: ص56 - ص62.

65 انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 41r; 44r. قارن: الجبرتي، **عجائب الاثار**، ج1، ص124.

66 انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 48v

67 انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 47v.

68 انظر: **الخطرات الثانية**، fol. 52r.

69 انظر المخطوطة fol. 52r.

70 انظر: **الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية**، fol. 52r.

71 هو عبد القادر الجيلاني او الكيلاني او الجيلي مؤسس الطريقة القادرية، يعتبر من كبار الزهاد والمتصوفين (ت. 1166م). انظر: الزركلي، **الاعلام**، ج4،ص47. Margoliouth D.S. "Qadiriyya", *EI²* IV Leiden, (1997), pp. 380-384.

72 انظر: **الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية** .fol. 52v (نفس مجموع المدينة المنورة) قارن: المرادي، **سلك الدرر**،ج4،ص 191، وكذلك تاريخ الادب العربي بالالمانية مصدر سابق.

73 انظر: **الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية**، .fol. 92r-102r

74 انظر: **الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية**، .fol. 102r- 132v

75 انظر: Ralf Elger,*Mustafa al -Bakrī,* pp.81-84.

76 C. Brockelmann, "al-Bakrī", in: *EI²* I p. 966.

77 هو محمد بن الشيخ محمد الشهير بالتافلاتي، سكن القدس، وكان يدرس الحديث الشريف والتفسير بالحرم القدسي داخل قبة الصخرة المشرفة، ذهب الى استانبول وعاد الى القدس وتولى افتاء الحنفية في القدس وكانت وفاته سنة 1192هـ/ 1778م. انظر: المرادي، **سلك الدرر**، ج4،ص 102- ص108؛ حسن عبد اللطيف الحسيني (ت.1809م)، **تراجم اهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري**، دراسة وتحقيق: سلامة صالح، عمان، 1985، 267- 285.

78 De Jong يشير ان البكري عين خليفة واحدا بعده وهذا الامر ليس صحيحا فيما ورد في ترجمات البكري لدى المؤلفين مثل المرادي ج4، ص193. انظر: F. De Jong., "Mustafa Kamal al-Din al-Bakrī (1688-1749): revival and reform of the Khalwatiyya tradition", in: Levtzion n. and Voll John O., (ed) *Eighteenth Century renewal and reform in Islam*, Syracuse (1987), p.119.

79 المرادي، سلك الدرر، ج4، ص194؛ الجبرتي، عجائب الاثار، ج1، ص299-ص300.

80 ولد بحفنة من قرى مصر، ت. 1181هـ/ 1767م). انظر: الجبرتي، عجاءب الآثار، ج2، ص354؛ المرادي، سلك الدرر، ج4، ص192.

81 ابن كنان، **المواكب الاسلامية**، ج1، ص168، حيث ولي دمشق مرتين المرة الاولى عام 1146هـ/ 1733م والمرة الثانية عام 1150هـ/ 1737م.

82 انظر: احسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، استانبول، 1999، ص212، قارن: M. Zilfi, *The Politicsof Piety: The Ottoman Ulema in Post-Classical Age Century(1600-1800),* Minneapolis, 1988, pp. 49-70; ibid, "The Kadizadelis Discordant", in: *JNES* 45 (1988), pp. 251- 263.